الفصل الثامن
يهود اليوم وعبريو الأمس

قلنا إن الصهيونية حركة سياسية جديدة تستمدّ فلسفتها من تاريخ اليهود والشرائع اليهودية ، وتستمدّ واقعها من تطور الحركة القومية فى القرن التاسع عشر ، فهى كعقيدة حركة تبدو قديمة وهى كمذهب سياسى جديدة كلّ الجدة .

وكان هذا سبب البلبلة الفكرية بين دعاة الصهيونية فى بداية نشأتها وأوّل قيامها ، فانقسم دعاتها على أنفسهم ففريق غلبت عليه النزعة القومية السائدة فلم يربط بين الوطن القومى وبين فلسطين وارتضاه فى أى مكان يسعهم فى الأرض فى شرق أفريقيا أو استراليا الجنوبية أو إحدى ولايات أمريكا الشمالية ، وكان هرزل رائد الصهيونية ومنظمها يرى أن الأرجنتين هى أحسن وطن لليهود تثمر فيه جهودهم وتنمو فى رحابه العذراء قدراتهم ، وفريق رأى أن فلسطين هى أرض الميعاد منها خرجوا وإليها المآب ، فهى وطنهم الروحى والقومى لا يبغون بها بديلا ولا يرضون عنها متحولاً .

إلّا أن اليهود لم ينسوا فلسطين قط ، وكان كل مشروع تنزّ به رءوسهم ينتهى فى غايته إلى فلسطين مهما تعددت الوسائل والأساليب وكثرت محاولاتهم لتحقيق تلك الغاية منذ قام « دافيد روبينى » أحد زعماء اليهود فى القرن السادس عشر يدعو بنى قومه إلى غزو فلسطين وانتزاعها قهرًا

بتأييد أقطابهم فى أوربا ظنا منه أن تأييدهم كفيل بتذليل كلّ الصعاب أمامه ، ولم يكن مشروع « دافيد روبينى » غير شطحة خيال عارم ولدت ميتة ، ثم كان مشروع « موسى منتفيورى » ويقوم على شراء الأراضى وإنشاء المستعمرات الزراعية لليهود فى فلسطين ، وقد حاول أن ينال اعترافًا بالوطن القومى لليهود فى فلسطين وفاوض السلطان العثمانى فى ذلك كما فاوض محمد على إلّا أن جهوده باءت بالفشل ولم ينل غير اعتراف من السلطان يخوّل لليهود حقّ حيازة الأرض فى فلسطين ، فأنشأ بضع مستعمرات زراعية فى القدس ويافا وصفد وطبرية تموّلها تبرعات ضئيلة جاد بها بعض ثراة اليهود .

وكان لحركة موسى منتفيورى أثرها فى تشجيع الهجرة اليهودية إلى فلسطين فأنشئت بأموال بعض المتحمسين فى وسط أوربا وشرقها مدرسة زراعية فى فلسطين تؤهل اليهود للحياة الزراعية التى تنتظرهم فى أرض الميعاد ، ولكن خريجيها ما لبثوا أن اجتذبتهم البلاد الأمريكية الرحبة فنزحوا إليها كما نزح بعضهم الآخر إلى مصر ، كما قامت هيئات وجمعيات أخرى بمثل ما قام به موسى منتفيورى أجدرها بالذكر « جمعية أحباب صهيون » التى أنشأت أوّل مستعمرة لها بالقرب من يافا .

وقد اتخذت هذه الجهود طابعًا علميًّا لم يخل قط من التيارات الفكرية العاصفة التى كانت تلهب خيال اليهود وتذكرهم بأرض الميعاد ، فموسى هس فى كتابه « روما وأورشليم » ، وليوبينسكر فى كراسته « التى نشرها بعنوان التحرر الذاتى[1] » وجورج إليوت فى قصتها « دانييل ديروندا[2] » ودزرائيلى اليهودى المنبت صاحب صفقة قناة السويس فى روايته « دافيد

---

(١) Leo Pinsker (1921- 1891) :Auto-Emanicipation.

(٢) George Eliot : Daniel Deronda (1876).

أكروا » ، وبيريز سمولينسكين فى صحيفته ها أشكهار[1] أوالفجر التى كان يصدرها فى فينا كانوا جميعا فى كلّ ما كتبوه يلهبون حنين اليهود نحو أرض الميعاد ويحاربون حربًا عوانًا فى سبيل الإبقاء على العنصرية اليهودية والتآلف الفكرى لليهود ويرفضون فكرة الاندماج فى العناصر الأخرى ، مع أن أحد هؤلاء الكتاب وهو بنيامين دزرائيلى الذى وصل إلى رئاسة الوزارة البريطانية اعتنق أبوه إسحق درزائيلى المسيحية وعمد فى ولادته مسيحيا ولكنه لم ينس أبدًا أصله اليهودى بل كان يهوديًا أكثر من اليهود .

ومما يجافى المنطق إزاء هذا التيار الفكرى العاصف والمحاولات الملحة لاستعمار فلسطين أن يفكر اليهود فى وطن آخر غير فلسطين ، ولكن حركة التنوير التى قادها مندلسون فى ألمانيا ويأس بعض زعماء اليهود من امتلاك فلسطين قد جعلهم يفكرون فى وطن آخر غيرها ، وكان هرزل نفسه من أصحاب هذا الاتجاه فلم يكن يعنيه إلّا أن يكون لليهود دولة تحميهم من الضيم والاضطهاد ما داموا لا يستطيعون وفاقًا مع غيرهم ، فقد كان يعتقد أن اليهودى مهما ارتحل فإنه يحمل فى كيانه النزعة التى تؤلب الغير عليه ، وأن اليهودى إذا ترك فى سلام مدى جيلين لكان من المحتمل أن يندمج فى البيئة التى يعيش فيها ، ولكن نزعته المثيرة تجلب عليه العداوة والبغضاء ، فالمشكلة اليهودية كما يراها ليست مشكلة دينية أو اجتماعية ولكنها مشكلة عنصرية فلو كانت لهم دولة يلوذون بها لجنبتهم العيش فى بيئات تجفوهم ولا يستطيعون هم الاندماج فيها .

وناقش هرزل فى كتابه « الدولة اليهودية » كلّ ذلك وطالب ملحا دول العالم المتحضر بحلّ المشكلة اليهودية وذلك بمنح اليهود رقعةً من الأرض

---

(١) Perez Smolenskin (1842-1885) : Ha-shachar.

المعمورة تكون لهم السيادة عليها وتكفى غلتها مطالب عيشتهم ، ولم يعين هذه الأرض وإنما ترك أمر تعيينها للرأى العام اليهودى وكان يميل هو نفسه لاختيار الأرجنتين .

واجتمع ممثلو اليهود فى بال عام ١٨٩٧ فى مؤتمر عام لأوّل مرة وظهر أن الاتجاه العام لا يبغى بفلسطين بديلاً ، إلّا أن هرزل كان يؤمن بدولة يهودية علمانية أكثر مما يؤمن بدولة تستمدّ أصولها ومقوّماتها من نبوءة دينية ، ولكنه نزل على إجماع المؤتمر واستجاب له ووضع كلّ جهوده لتحقيق ذلك فاتصل بكافة الأوساط والدول التى يمكن أن تعينه على ذلك ، ولما لم يجد أملاً قريبًا يدنو به من غاية اليهود فى فلسطين بعد أن انتهت مفاوضاته مع السلطان عبد الحميد عام ١٩٠٢ بالفشل ، اتجه إلى انجلترا واقترح أن تخصّهم بوطن فى سيناء أو فى قبرص ولعله كان يرمى إلى تحقيق غرضه الأصلى بقيام دولة يهودية فى أىّ مكان ولا يغضب اليهود فى الوقت ذاته حين يرون أنفسهم قريبين من أرض الميعاد . ولم يجد هذا المطلب هوى فى نفوس الإنجليز واقترح تشمبرلن وزير المستعمرات أن يقطع اليهود مستعمرةً فى شرق أفريقيا ، ولم يجد الاقتراح هوى فى نفس هرزل ، إلّا أنه بعد مذبحة اليهود فى مدينة كيشينف الروسية قبل هذا العرض ، وثار به اليهود لذلك فى المؤتمر الصهيونى السادس الذى عقد عام ١٩٠٣ وهو آخر مؤتمر حضره هرزل قبل وفاته فى العام التالى ، وأعلن هرزل أنه لن يرضى بفلسطين بديلا ، ولكن القرار النهائى برفض هذا العرض لم يصدر إلّا فى المؤتمر الصهيونى الذى عقد فى بال عام ١٩٠٥ أى بعد ذلك بعامين ، وصدر القرار مشفوعًا بشكر الحكومة البريطانية وأن اليهود يحمدون لها كلّ مسعى تقوم به فى سبيل الوطن القومى فى فلسطين أو ما يجاورها من أراض .

وهكذا غلب تراث اليهود الزمنى وتآلفهم الفكرى فالتفّوا جميعًا حول

الأمل فى وطن قومى فى فلسطين ونبذوا كلّ أرض عداها ، وتحوّلت العنصرية اليهودية كما كانت طوال تاريخها إلى حركة قومية جارفة تلفح اليهود بنيران التعصّب والكراهية والعداء لكلّ من يقف فى سبيلهم لتحقيق أمل العودة إلى فلسطين ولفحت هذه الكراهية كثيرًا من الأفراد والشعوب والدول وكان لها ضحاياها بين هؤلاء جميعًا ، فحين يئسوا من استجابة الدولة العثمانية لمطالبهم فى فلسطين تسلّلوا تسلّلًا خفيًّا إلى حركة الاتحاد والترقى التى انتهت بخلع السلطان عبد الحميد عام ١٩٠٩ وحملوها فى التيار الذى انتهى بتحطيم الجامعة الإسلامية والقضاء على الدولة العثمانية وفرض الانتداب الأوربى على البلاد العربية وتنفيذ وعد بلفور فى أعقاب الحرب العالمية الأولى . ومما يذكر أن حايين ناحوم أفندى حاخام مصر والدولة العثمانية كان عضوًا فى جماعة الاتحاد والترقى . ولما أعلنت عليهم ألمانيا حرب العنصرية تألبوا عليها فى كافة أرجاء الأرض وجعلوا من كراهية اليهودية كراهيةً للسامية بأسرها حتى غدا نعت السامية فى كثير من الأذهان نعتًا لليهودية ، ولم تسلم ألمانيا بعد أن انتهت الحرب العالمية الثانية باندحارها ، من انتقام اليهود ، بل نزح اليهود فى أعداد غفيرة إلى ألمانيا فى تعال وكبرياء وصلف حتى يشعروا الألمان بالذّل والمهانة .

وتحمل الصهيونية اليوم على العرب وتصورهم شعبًا بدائيا متأخرًا وتتسلّل بمؤامراتها وخبثها إلى قلب العالم العربى للقضاء على كلّ حكم وطنى وكلّ بادرة للوحدة العربية والتضامن العربى .

ولم يشذّ على إجماع اليهود فى تأييد الحركة الصهيونية غير قلّة من الثراة خافوا على مصالحهم مما يمكن أن ينسب إليهم من ازدواج الولاء واحتمال بعث العداء التقليدى لليهود ، ولكن النفوذ اليهودى كان قد استشرى فى كثير من دول أوربا وبخاصة فى انجلترا بعد أن تمتّعوا بحقّ

المساواة مع غيرهم من المواطنين ، وما لبثت تلك القلة التى كانت تعطف على الحركة الصهيونية سرًّا أن جاهرت بتأييدها للصهيونية بعد إصدار وعد بلفور فى فبراير ١٩١٧ .

وفى فلسطين خشى يهودها أن يجر النشاط الصهيونى عليهم غضب العرب والدولة العثمانية ، كما خافوا على مصالحهم من تدخّل السياسة الصهيونية وما يحتمل أن يجره هذا التدخل من حدٍّ لحرية التعامل مع جيرانهم العرب مما يعود عليهم بالخسارة والبوار ، ولكن هؤلاء ما لبثوا أن غدوا بدورهم أشدّ أنصار الصهيونية بعد صدور وعد بلفور فاستقبلوا اللنبى على أبوب بيت المقدس حين طرقتها جيوشه فى ٨ ديسمبر ١٩١٧ بأكاليل الغار وانضووا تحت لوائه يطاردون الأتراك حتى قيل كما تذكر المصادر الصهيونية أن الذين اشتركوا فى مطاردة العثمانيين تحت إمرة اللنبى كانوا ألفًا من المتطوّعين عدا أربعة آلاف متطوّع من يهود البلاد الأخرى حاربوا فى ميادين القتال المختلفة وهم يحملون شارة داود .

وغدت الصهيونية بعد الانتصارات المتوالية التى أحرزتها ، عقيدة اليهود فى كلّ أرجاء الأرض لا يشذّ عنها ولا يخرج عليها يهودى واحد إلاّ من حيث العنف والاعتدال فى تنفيذ سياستها ، وكلّ هؤلاء اليهود الذين يقفون أحيانًا موقف العطف على العرب لا يبغون من وراء ما يبدونه من عطف إلاّ تخفيف حدّة العداء نحو اليهود فى كثير من البلاد العربية التى مازالت تضمّ جاليات يهودية كبيرة ، وهم يفرقون لهذا بين الصهيونية واليهودية ويحملون غير مؤمنين على الصهيونية ، ولكنهم لا ينبذون إطلاقًا فكرة العودة إلى فلسطين وقيام الدولة اليهودية ، وكل ما ينشدونه من عطف على العرب أن يرضى العرب بقيام إسرائيل ويحلّ الوفاق محلّ الخصومة بين أبناء العمومة كما يقولون .

ولعلنا ندرك بعد هذا العرض القصير كيف قامت الصهيونية كما قلنا على فلسفة تستمدّ أصولها من تاريخ اليهود وشريعتهم الدينية ، وتستمدّ واقعها من معالم الحركة القومية فى القرن التاسع عشر ، فجمعت بين نقيضين لا يمكن الجمع بينهما .

فالقومية لا تقوم على العنصرية ولا تقوم على حقٍّ دينىّ ولا تقوم إلّا فى ظلّ وطن تنتمى إليه الجماعة انتماء واقعيًّا بمعنى أنها تعيش فعلاً وتزاول نشاطها الاجتماعى والاقتصادى والإنسانى فوق أرضه ، وتشعر حياله بأنه ملك خالص لها لا يشاركها فيه غيرها .

والقومية الصهيونية أو الإسرائيلية أو اليهودية مهما تعدّدت أسماؤها ، غير هذا كله ، فهى تقوم على العنصر ، أو بمعنى أصح السلالة ، فكلّ يهودى كما يقولون هو من نسل إسرائيل أو يعقوب ولا نعرف أمةً من الأمم تنتمى من حيث السلالة إلى رجل واحد ولا نعرف قوميةً من القوميات تتكون من عنصر إنسانى واحد ، فمن المحتمل أن تنتمى إلى جنس من الأجناس المعروفة : القوقازى والمغولى والحامى - فى اصطلاح علماء الأجناس - لغلبة الدماء القوقازية أو المغولية أو الحامية فيها ، أما العناصر والسلالات فقد اختلطت فيها الدماء على مرّ العصور اختلاطًا كبيرًا وإن احتفظت بسمات جنسها الأصلية .

وينتمى اليهود كما ينتمى العرب إلى السامية وهى أحد فروع الجنس القوقازى الذى تنتمى إليه الشعوب الهندأوربية أو الآرية أيضًا فيما يقولون ، ولم تخل دماء العرب أو اليهود من الهجنة ، بل إن الجنس القوقازى هو أكثر الأجناس هجنة دماء يفوق فى ذلك الجنسين المغولى والحامى .

فانتماء اليهود إلى إسرائيل أو يعقوب خرافة إلّا إذا كان الانتماء إلى

دين إسرائيل ، وثمة فارق كبير بين الانتماء إلى الذرية والانتماء إلى العقيدة . فالانتماء إلى العقيدة لا يعنى إطلاقًا أن معتنقيها من سلالة واحدة ، أما الانتماء إلى الذرية فإنه يعنى أن كلّ يهودى هو من نسل إسرائيل وليس ثمة حق لغير نسله فى اعتناق الديانة اليهودية .

ولقد كانت بعثة الأنبياء قبل عيسى ومحمد كل إلى قومه ، ولم يكن هذا ليعنى أن الهداية كانت قاصرة على هؤلاء القوم وحدهم ، فإن «دينه» الابنة الوحيدة ليعقوب بين أولاده الاثنى عشر الذين تفرعت منهم أسباط إسرائيل ، حين اغتصبها ثم تعلق بها شكيم ابن حمور الحوى فخطبها إلى نفسه ، شرط عليه إخوتها أن يختتن هو وقومه كما يختتنون « فقالوا لهما لا نستطيع أن نفعل هذا الأمر أن نعطى أختنا لرجل أغلف ، لأنه عار لنا . غير أننا بهذا نواتيكم . إن صرتم مثلنا بختنكم كل ذكر نعطيكم بناتنا ونأخذ لنا بناتكم ونسكن معكم ونصير شعبًا واحدًا . وإن لم تسمعوا لنا أن تختتنوا نأخذ ابنتنا ونمضى[1] ».

فشرط الختان كان هو كل ما طلبه بنو يعقوب من شكيم ابن حمور الحوى وقومه ليكون منهم وكان الختان والإيمان بالرب دون الأصنام هما كل قواعد ديانة إبراهيم قبل الشريعة الموسوية ، ومغزى هذه القصة أن دين إبراهيم لم يكن قاصرًا على قومه وإنما كان متاحًا لكلّ من يعتنقه من غير قومه . ولو لم يغدر بنو يعقوب ببنى حمور الحوى لأصهروا إليهم ودخلوا فى ملّتهم ، فإن شكيم كان قد دخل بدينه قبل أن يخطبها مما أغضب إخوتها «وأتى بنو يعقوب من الحقل حين سمعوا وغضب الرجال واغتاظوا جدًّا لأنه صنع قباحة فى إسرائيل بمضاجعة ابنة يعقوب . وهكذا لا يصنع[2] » . وغضب يعقوب حين سمع بغدر بنيه ببنى حمور

---

(١) تكوين ٣٤ : ١٤ - ١٧ .

(٢) تكوين ٣٤ : ٧ .

الحوى حين قتلوهم وخرجوا بأختهم دينة من بيت شكيم بعد قتله .

وحين جاءت ملكة سبأ إلى سليمان «لتمتحنه بمسائل» وأعجبت بحكمته أعلنت عن إيمانها بربه «ليكن مباركا الرب إلهك الذى سر بك وجعلك على كرسى إسرائيل[1]». (وصدها ما كانت تعبد من دون الله إنها كانت من قوم كافرين. قيل لها ادخلى الصرح فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها قال إنه صرح ممرد من قوارير ، قالت ربِّ إنى ظلمت نفسى وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين[2]).

فاليهودية لم تكن دين بنى إسرائيل وحدهم بل دين كل من تستهويه ويعتنقها ، ولقد عمد اليهود فى فترة من فترات تاريخهم إلى التبشير بدينهم بين غيرهم وكان ذلك حين طغت الثقافة الهيلينية وخشى اليهود أن تغمرهم بفيضها الجارف فأخذوا يبشرون باليهودية لإعلاء شأنها أمام طوفان الهيلينية ، ويقال أن تشتيت اليهود قد عمل على انتشارها ، ولا ريب أن اليهود الذين بيعوا فى أسواق الرقيق فى العهدين اليونانى والرومانى قد حملوا معهم تعاليم دينهم ، ولعلها استهوت بعض سادتهم فاعتنقوها .

وإذا تتبعنا انتشار الديانة اليهودية نرى أن معتنقيها يختلفون اختلافًا بيِّنًا فى السحنة والملامح والصفات البدنية مما يدل على أنهم ينتمون إلى سلالات وعناصر متفرقة فيهود اليمن أقرب شبهًا إلى أهل اليمن منهم إلى اليهود الآخرين ، وكذلك يهود أسبانيا وشمال أفريقيا واليهود الألمان . والمعروف أن شعبًا يهوديًّا عاش فى الحوض الشمالى لنهر الرين قبل ميلاد المسيح بقرنين أو ثلاثة[3] ، ومنه تفرعت مجموعات أخرى فى بولندا وفى روسيا الغربية ويعرف يهود هذه السلالة بالأشكنازم ويتكلمون اليدش

---

(١) الملوك الأول ١٠ : ١ - ٩ .

(٢) سورة النمل : آية ٤٣ - ٤٤ .

(٣) دكتور محمد عوض محمد : المسألة الصهيونية فى نظر العلم ص ١٥ .

لهجة أبناء الإقليم الشمالى الغربى من ألمانيا ، ويكتبها اليهود بالحروف العبرية وتختلف بعض الاختلاف عن اللهجة الألمانية الحديثة .

ودلالة هذا كله أن اليهودية لا تعنى شعبًا أو سلالةً بل تعنى دينًا كغيره من الأديان المختلفة التى طوت عقائدها كثيرًا من الأجناس والسلالات والعناصر .

ويزعم اليهود أن دينهم قاصر عليهم وحدهم لم يبشروا به ولم يحاولوا نشره بين الشعوب الأخرى ، وهو زعم ينفيه هذا الانتشار الواسع للديانة اليهودية بين شعوب مختلفة وفى بقاع شتى . ولكن اليهود بهذا الزعم يحاولون عبثًا إثبات أن اليهود يمثّلون سلالةً نقيةً تنتمى إلى إسرائيل أب الأسباط ، صان نقاءها أنهم كما يقولون لم يصهروا إلى غيرهم ولم يصهر غيرهم إليهم ، ولم تكن لهم علاقات جنسية مع غيرهم من الشعوب الأخرى ، وكلنا يعلم ما تعرض له بنو إسرائيل من حروب كان التسرى واستباحة الحرمات بعض معالمها ، بل مازلنا نرى إلى اليوم أن الجيوش الغريبة تترك ما يدل عليها من سمات جنسية فى الشعوب التى تقيم بينها سواء بالزواج الشرعى أو غيره ، ولقد تركت القوّات الزنجية التى حاربت فى أوربا إلى جانب الحلفاء فى الحربين الأخيرتين ما ينم عنها فى كثير من أطفال السفاح . بل إن الأعداد الغفيرة التى بيعت من اليهود فى أسواق الرقيق فى العهدين اليونانى والرومانى قد اختلطت دون شك بسادتها ومستعبديها . وفى أسفار العهد القديم ما يشير إلى تحلل اليهود من فريضة تحريم الزواج من غيرهم فقد تزوج سليمان من مصرية كما تزوج بعدد كثير من النساء الغريبات وتزوج موسى من صفورة ابنة يثرون كاهن مدين ويوسف من مصرية هى اسنات ابنة كاهن أون وأنجب منها ولديه منسى وأفرايم وعلى غرارهم كان كثير من بنى إسرائيل يتزوّجون من غريبات ولا ريب أن كثيرات من الإسرائيليات قد سلكن مسلك رجالهن

فتزوجن من أغراب ، وحين عاهد عزرا اليهود على ألا يتزوجوا من غريبات خرج كثيرون على العهد وكان من بينهم حفيد الكاهن الأكبر الذى تزوّج من سامرية . فالزواج المختلط كان شائعًا فى بنى إسرائيل وظلّ شائعًا بين اليهود طوال تاريخهم مما ينفى عنهم نقاء السلالة ويثبت خرافة الشعب المختار ، الموعود بالحكم والسيادة على العالم والعودة إلى أورشليم .

ويرى « ربلى »[1] فى كتابه « أجناس أوربا » أن اليهود فى أوربا قد امتصّوا كثيرًا من الدماء المسيحية عن طريق كثير من الصلات الجنسية غير المشروعة فقد كانت القوانين فى العصور الوسطى تمنع وجود أنثى مسيحية فى بيت يهودى للخدمة أو لغيرها من الشئون حتى لا يقع اتصال جنسى بين المسيحيات واليهود مادامت الكنيسة تحرم الزواج بينها ، ولكن القانون لم يحل إطلاقًا بين وقوع المعاشرة بين اليهود والمسيحيات أو بين المسيحيين واليهوديات مما أدّى إلى امتزاج الدماء ، ثم أن القانون كان لحماية الحرائر ، ولم يكن للإماء من قانون يحميهن . وينتهى ربلى إلى القول بأن تسعة أعشار يهود العالم لا يمتون إلى اليهود الأوّلين بأىّ شبه ، وأن القول بنقاء الدماء اليهودية حديث خرافة ، ويستشهد ربلى بقول « رينان » من أن اليهودية لا تعنى جنسًا معيّنًا وليس لها دلالة انثربولوجية لا فى أوربا ولا فى حوض الدانوب على الأقل ، ويشير كذلك إلى ما قاله « لمبروزو » من أن اليهود أدنى إلى الجنس الآرى منهم إلى الجنس السامى فى الوقت الحاضر .

فاليهودية دين وليست جنسًا ، اعتنقها على مرّ العصور أشتات من البشر يتباينون فى اللون والسحنة والملامح وينتمون إلى أجناس مختلفة

---

(١) W.Z. Ripley : Races of Europe P. 392.

وشعوب عديدة ، ومن عبث القول أن يصدق عليهم نقاء السلالة وسلامة العنصر .

ولقد قرّت هذه الخرافة ، خرافة الشعب المختار والسلالة النقيّة والانتماء إلى أسباط إسرائيل فى أذهان كثير من اليهود المؤمنين فسيروا بعوثهم فى العصور الوسطى وجاب رحّالتهم بقاع الأرض بحثًا عن الأسباط العشرة المفقودة ، وهى القبائل التى كانت تعمر مملكة إسرائيل قبل أن يبدّدها سرجون الثانى ملك أشور ، وظنّ بعض هؤلاء الرحالة أن يهود الفلاشا فى الحبشة هم أحد هذه القبائل المفقودة .

إلا أن عالما من علماء اليهود هو « فردريك هرس »[1] فى كتابه « الجنس والحضارة » يرى أنه من العبث التفريق بين اليهود والجنس الآرى ، فإن القرابة بين الاثنين لا تحتمل الشك ، فعلى مرّ العصور امتصّ اليهود كثيرًا من الدماء الغريبة واعتنق اليهودية كثير من الأجانب يونان ورومان فى القرنين الأوّل والثانى قبل الميلاد وغيرهما من السلاف والألمان فى العصور الوسطى بالرغم من كل العقبات التى كانت تحول دون ذلك فاليهود السلاف واليهود الألمان لا يمتّون إلى يهود فلسطين بصلة أو شبه .

فمن العبث الادعاء بأن عبريّى الأمس هم يهود اليوم ، فإذا سلمنا جدلاً بأن الوعد الإلٰهى لذرية إبراهيم بوراثة أرض الميعاد قائم كما يقول اليهود ، فإن اليهود من ذرية إبراهيم لم يعد لهم وجود بعد أن تمثلتهم شعوب عديدة وهضمتهم بيئات مختلفة وسرت إلى دمائهم دماء غريبة تفوق ما يحملون من دماء أجدادهم إن كان ثمة دماء باقية فى عروقهم من دماء العبريين القدامى .

ومن العبث ادعاء وطن بحكم الإرث لسلالة لم يعد لها وجود إلا إذا

---

(١) Friedrich Herz : Race and Civilisation : P. 313.

سلّمنا بأن الإرث للعنصر والسلالة وليس للبركة والرسالة فإذا كان الإرث للبركة بركة إبراهيم فقد حلّت بركة إبراهيم فى كلّ من حمل رسالته من الأنبياء وآخرهم عيسى ومحمد ، وإذا كان الإرث للرسالة فقد آمن برسالة إبراهيم كلّ مسيحى وكل مسلم مما ينتفى معه كلُّ حقٍّ لليهود من غير أبناء فلسطين فى ادعاء فلسطين وطنًا ، وحقّ يهود فلسطين فيها هو حق قائم على التوطن والانتماء إلى البلاد شأنهم فى ذلك شأن من يقيم فيها من المسيحيين والمسلمين . وقد عاش يهود فلسطين إلى جوار العرب من المسيحيين والمسلمين عيشة أمن وسلام طوال تاريخهم لم يرع فلسطين خلال هذا التاريخ ما يروعها اليوم على يد الصهيونية الغاشمة .